فضائح في ديوان ناجي

بقلم نور الدين صمّود

١ ــ تعريف عام

جمع هذا الديوان وحققه وقدم له السادة : (احمد رامي وصالح جودت والدكتور احمد عبد المقصود هيكل ومحمد ناجي) ، اما الاولان فشاعران شهيران لكل منهما شعر كثير منشور او ملحن ، واما الثالث فيحمل شهادة عالية هي الدكتوراه التي تشهد لحاملها بالجدارة في التحقيق المنهجي ، واما الثالث فهو شقيق الشاعر صاحب الديوان ، بحيث يمكن ان يوثق به فيما يتعلق بشعره .

وهذا الديوان يضم ــ فيما يبدو ــ جميع ما انتج ابراهيم ناجي من شعر في جميع الاغراض التي يبدو ان الذاتية والوجدانية تطغيان عليها. فقد جمع فيه السادة المشرفون عليه ديواني ناجي اللذين نشرا في حياته، وهما (وراء الغمام) الذي ظهر لاول مرة سنة ١٩٣٤ ، و (ليالي القاهرة) الذي نشر سنة ١٩٥١ ، قبل وفاة الشاعر بسنتين ، واضافوا اليهما الديوان الذي نشر بعد موت الشاعر ، بعنوان (الطائر الجريح) (١) واضافوا الى هذه الدواوين الثلاثة جميع ما عثروا عليه من شعر ناجي في الصحف والمجلات والاوراق التي خلفها ، والتي ارسلها الى ابنته (ضوحية) او لبعض اصدقائه وصديقاته في شتى المناسبات . ولم يحتفظ منها بنسخة لعدم اعتداده بها . وهكذا يبدو لنا أن (هذا الديوان شامل خليق بان يحتل مكانته الرفيعة في المكتبة العربية)(٢). وقبل ان نصل الى شعر هذا الديوان نمر (بتمهيد) بقلم (اللجنة) حدثونا فيه عن كيفية جمعهم لهذا الديوان فاستطاعوا ان يجمعوا هذا الديوان الشامل من افواه الثقات ومن شفاه الحسان اللواتي طالما الهمن ناجي اناشيده الخالدة ، ومن قصاصات الصحف التي كانت تتلقف شعر ناجي وتحتفي به (٣) بالاضافة الى دواوينه الثلاثة التي اشرت اليها منذ حين . وقد بوبوه على الطريقة التقليدية التي ترتب القصائد وفقا للحروف الابجدية التي تنتهي بها قوافيها (٤) ، ولكنهم وجدوا انفسهم « امام كثير من شعر المقاطع الثنائية والرباعية والخماسية الخ.. فلم يجدوا بدا من ان يأخذوا القصيدة بقافية البيت الاول منها وان يضعوها في موضعها على هذا الاساس » (٥).

ويلي هذا التمهيد (سيرة حياة الشاعر) كتبها صالح جودت وقد حدثنا فيها عن الشاعر بادئا بجده السيد ابراهيم القصبجي (تاجر الخيوط الذهبية المعروفة بالقصب) ... ومنتهيا بيوم وفاة الشاعر « بينما هو يدني اذنه من قلب مريض في عيادته ، ويتسمع دقاته اذا به يهوي كما يهوي الشهاب النيّر المشرق وتنتهي قصة حياة الشاعر الخالد في يوم ٢٤ مارس ١٩٥٣ ويرقد الى جوار جده لامه ، الشيخ عبد الله الشرقاوي في مسجد بجوار الحسين رضي الله عنه » (٦) .

ويلي كلمة جودت تعريف (بدواوين ناجي) الثلاثة التي تحدثوا عنها بشيء من التفصيل (٧) .

واخيرا تصل الى دراسة عن (فن ناجي) بقلم الدكتور احمد عبد المقصود هيكل في عشر صفحات لا نحب ان نتعرض لها لانها تمثل وجهة نظر صاحبها .

٢ ــ نقد

يحتوي هذا الديوان على مائتين واحدى وثلاثين قصيدة متفاوتة الطول ، لم يثبت المحققون لهذا الديوان تواريخها باستثناء (قصائد قليلة تركها الشاعر مؤرخة) . وقد تتبعت قصائد هذا الديوان فرأيت ان حوالي اربعين قصيدة منه يمكن أن تعرف تواريخها معرفة تقريبية احيانا ومعرفة مضبوطة احيانا اخرى ، فجميع القصائد التي قيلت في وزراء الاوقاف الثلاثة الذين اتصل بهم الشاعر ، يمكن معرفة تواريخها اذا ضبط لنا السادة المحققون تاريخ تولي كل منهم الوزارة وتاريخ انتهاء وزارته ، وهذا امر يتطلبه التحقيق العلمي الدقيق .

وفي الديوان قصائد اخرى يمكن اثبات تواريخها اثباتا قطعيا لا ريب فيه ولكن بشيء من التحقيق لا يتطلب جهدا ، كالقصيدة التي قيلت في اليوم الذي مات فيه احمد شوقي بالضبط ، والسادة المحققون يعرفون شوقي معرفة شخصية ، وكلنا يعرف ان شوقي توفي فجأة يوم ١٣ اكتوبر ١٩٣٢ ، وكذلك الشأن مع بقية القصائد الاخرى التي قيلت في ذكر شوقي وهي اكثر من قصيدة ، ففي صفحة ٤٦ قصيدة (القيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى مرور العام الاول على وفاة المرحوم احمد شوقي) اي سنة ١٩٣٣ ، وفي صفحة ٦٢ قصيدة (القيت في حفلة تأبين المرحوم احمد شوقي بمسرح حديقة الازبكية) دون ذكر لعدد الذكرى ولا لتاريخها ، وفي صفحة ١٦٤ قصيدة اخرى « القيت في حفلة الذكرى التي اقامتها جماعة الادب المصري بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم احمد شوقي » اي سنة ١٩٣٣ ايضا !

وكذلك الشأن بالنسبة (لمرثية الشاعر محمد الهراوي التي القيت في حفلة تأبينه) الم يكن من اليسير على هؤلاء السادة المحققين ان يثبتوا تاريخ وفاة الهراوي وتاريخ هذه الذكرى .. لنتمكن من معرفة تاريخ القصيدة ؟ وقل مثل ذلك بالنسبة لكثير من القصائد ... فاين هو « التحقيق » اذن ؟

وكم يأسف القارىء عندما يرى ان السادة (المحققين الجامعين المقدمين) قد عوضوا مقدمات الدواوين الثلاثة بمقدماتهم ، وكم كنا نود ان يثبتوا تلك المقدمات الاصلية ، فالديوان الاول « وراء الغمام » مقدم بقصيد من شعر احمد زكي ابي شادي ، (الى ناجي الشاعر) ومصدر بتصدير بقلم احمد الصاوي محمد ، والديوان الثاني « ليالي القاهرة » مقدم بقلم ابراهيم الدسوقي اباظة ، والديوان الثالث «الطائر الجريح » مقدم (بكلمة موجزة تحل محل المقدمة) بقلم الاستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن .

كما انهم حذفوا بالاضافة الى ذلك اشياء اخرى مثل (الاهداء) وغيره (٨) ...

---

(١) اشرف على نشر هذا الديوان احمد رامي ــ احد هؤلاء الاربعة المشاركين في جمع الديوان الشامل ــ واطلق عليه اسم (الطائر الجريح) وهو عنوان احدى قصائد الديوان .

(٢) مقدمة صالح جودت صفحة ٢٤ ــ (٣) صفحة ٥ ــ (٤) صفحة ٦ ــ (٥) صفحة ٨ ــ (٦) صفحة ١٠ ــ (٧) صفحة ٢٣ .

(٨) على ان هذا الديوان لا يخلو من مآخذ اخرى مثل نشر بعض قصيدة « حديث فراشة » في صفحة ١١١ وبقيتها في صفحة ١٨٣ ــ !؟ على ان حذف المقدمات الاصلية ربما يعود امره الى وزارة الثقافة .

٣ ـ فضيحة كبرى

في عدد نوفمبر ١٩٦٦ من مجلة « الفكر » نبأ عن هذا الديوان في صفحتين ونصف نقلته عن عدد ايلول ١٩٦٦ من مجلة (المكتبة) العراقية وخلاصته ... انه قد (صدر بالقاهرة الحكم في القضية الادبية التي اثارت ضجة عالية واستمرت خمس سنوات ... انها قضية ديوان ابراهيم ناجي الذي اصدرته وزارة الثقافة ، وظهرت فيه ١٧ قصيدة ليست من شعر ناجي وانما هي من شعر الدكتور كمال نشأت ... » وكانت « اخبار اليوم » اول من نبهت الى ان هذا الديوان يضم ١٧ قصيدة لشاعر اخر هو كمال نشأت ... « وتبين أن الشاعر كمال نشأت كان قد قدم الى الشاعر ابراهيم ناجي نسخة (مخطوطة) من مجموعة قصائده ، ليكتب لها مقدمة يقدمها بها الى القراء . ولكن كثرة مشاغل الدكتور ناجي ارجأت كتابته لهذه المقدمة . وظلت تلك النسخة في احد ادراج ناجي الى ان توفي سنة ١٩٥٣ وعثرت اسرته على تلك القصائد ، فظنت أنها من شعر ناجي الذي لم ينشر ، وقدمته الى اللجنة المكلفة من وزارة الثقافة باصدار ديوان ناجي. » .

« وقبل صدور الحكم ، اصبح كمال نشأت عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وزميلا للشاعرين صالح جودت واحمد رامي . واصدر حتى الان دواوين « رياح وشموع » و « انشودة الطريق » و « ماذا يقول الربيع » ... وكانت الكلمة الاخيرة هي التي قالتها المحكمة منذ ايام وخلاصتها تغريم اعضاء اللجنة بألف جنيه ، ورفض طلب كمال نشأت سحب (ديوان ناجي) من السوق .

واضطرت وزارة الثقافة ان تلصق ورقة على الصفحة الاولى من الكمية الباقية من الديوان تحت عنوان « اسف واعتذار » اعربت فيها اللجنة عن بالغ اسفها ، وعميق تأثرها ، لوفاة احد اعضائها ، وهو الاستاذ محمد ناجي الذي لقي وجه ربه بعد انتهائه من المهمة الموكلة اليه في هذا الديوان . وقد كانت هذه المهمة محصورة في مواقاة زملائه اعضاء اللجنة بكل ما يستطيع ان يظفر به في بيت شقيقه صاحب هذا الديوان من تراث شعري بوصف كونه اقرب الناس اليه ، وصاحب الحق من بين اعضاء اللجنة في دخول بيت صاحب هذا الديوان ، ومراجعة اوراقه الخاصة » (٩) .

« وشاء سوء الحظ » ان تكون قصائد الدكتور كمال نشأت ضمن هذه الاوراق فسلمها شقيق الشاعر الى اللجنة على انها من شعر ناجي « فانخرطت في هذا الديوان » ثم ذكرت اللجنة اسماء هذه القصائد التي انخرطت في هذا الديوان خطأ وعددها ١٥ فقط (١٠) . وذكرت ارقام الصفحات التي نشرت فيها تلك القصائد ، « وقد « املت اللجنة ان يكون هذا الاستدراك قد وضع الامور في نصابها واعطى كل ذي حق حقه » . ولست ادري كيف فات هذه اللجنة ان تنتبه الى ان هذه القصائد ليست من شعر ناجي ، فهل لم يلاحظوا ان بين فني الشاعرين فرقا كبيرا (١١) ..؟ واذا لم ينتبهوا الى هذه الاشياء الفنية فهل لا يعرفون ان كمال نشأت قد اصدر ديوانا بعنوان « رياح وشموع » منذ اكثر من عشر سنوات ؟ الم يحاولوا (التحقيق) عندما رأوا ان من بين قصائد تلك المجموعة التي سلمها لهم شقيق الشاعر قصيدة بعنوان « رياح وشموع » وهو عنوان ديوان كمال نشأت المنشور ؟ الم يحاولوا مقارنة الخطوط وهو امر معروف في ميدان (التحقيق) ؟ الم يلاحظوا شيئا هاما ، وهو ان هذه المجموعة من شعر نشأت التي قدمها شقيق الشاعر الى اللجنة على انها من شعر ناجي تحمل تواريخ كتابتها واسماء الامكنة التي كتبت فيها باستثناء قصيدة واحدة فقط ، والملاحظ في ديوان ناجي ان قصائده كلها تقريبا بدون تاريخ ، فلماذا لم ينتبهوا الى هذا الفرق الذي يدفعهم الى التشك ، والشك يدفع الى التحقيق ، والتحقيق يوصل الى اليقين ؟

واخيرا هل لم تطلع هذه اللجنة على مجموعة (رياح وشموع) التي اعتقد انها تضم هذه القصائد او اكثرها ؟

(٩) انا اعرف المرحوم محمد ناجي شقيق الشاعر معرفة شخصية وهو رجل ضرير لا يستطيع تمييز الخطوط .

(١٠) سبق ان ذكرنا انها ١٧ قصيدة حسبما نقلت « الفكر » عن « المكتبة » .

(١١) كتب الدكتور احمد عبد المقصود هيكل دراسة عن (فن ناجي) من صفحة ٢٨ الى صفحة ٣٧ .

٤ ـ فضيحة اكبر .

في صفحة ١٧١ من هذا الديوان قصيدة بعنوان (المرآة) تمتد الى صفحة ١٧٣ وقد علق عليها بهذا التعليق (عثرنا بهذه القصيدة في العدد ٧ و ٨ من المجلد الثالث لمجلة العمارة ـ سنة ١٩٤١ ـ كتصوير شعري لرسم بالريشة لمجهول ، ويمثل امرأة عارية في روضة ، تقطف تفاحة). كما علق السادة المحققون على البيت الحادي والعشرين من هذه القصيدة التعليق التالي : « في العدد نفسه من مجلة (العمارة) وبعد قصيدة المرأة مباشرة جاءت هذه الابيات بعنوان « المثال والمرآة » كتصوير شعري لرسم بالريشة ، لمجهول ، يمثل مثالا يهتاجه جمال المثال ، اي المرآة التي ينحت تمثالا لها ، فيلقي بالتمثال يحطمه ، ويعتصر المرآة بين ذراعيه . وهذه القصيدة استطراد للقصيدة الاولى، ولهذا اضفناها اليها استكمالا للصورة الشعرية ، ولا سيما أن القصيدتين من روي واحد ، مع ملاحظة ان القصيدة الثانية كان يجب ان تبدأ من المقطع السابق » .

والملاحظ ان القصيدتين ليستا من روي واحد كما قال السادة المحققون بل هي رباعيات من بحر واحد هو المتقارب ولكل رباعية رويها، كما انبههم الى ان الرسمين المشار اليهما ليسا لرسام مجهول كما قالوا بل هما للرسام (محمد سليم شوقي) وامضاؤه في الرسم الاول موجود تحت اليد اليمنى لتلك المرآة العارية التي وصفوها آنفا ، وفي الرسم الثاني يوجد امضاؤه في اسفل الصورة من الجهة اليسرى قرب قدمي المرآة ، وهو امضاء جميل يشبه كأسا ضيقة من الاسفل متسعة من الاعلى.

وقصيدة (المرآة) هذه التي نحن بصدد الحديث عنها ليست من شعر ابراهيم ناجي ايضا ، فهي مثل قصائد كمال نشأت ، قد انخرطت غلطا في هذا الديوان ، واعتقد ان اللجنة التي جمعت هذا الديوان وحققته ستحتاج الى استدراك اخر يضع الامور في نصابها ، ويعطي كل ذي حق حقه .

هذه القصيدة ـ أو هاتان القصيدتان اللتان ادمجتهما اللجنة في قصيدة واحدة من شعر علي محمود طه (المهندس) ، من اقصوصته الشعرية « ارواح واشباح » وتوجد الابيات العشرون الاولى منها على الصفحات ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ وتوجد الابيات العشرون التالية على الصفحات ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ويوجد الرسم الاول الموصوف آنفا على صفحة ٧١ ويوجد الرسم الثاني على صفحة ٣٣ من (ارواح واشباح) والى القارىء الرباعية الاولى من (المرآة) :

احاول افهمها مرة ... فاعيا بها وبتفكيرها
امخلوقة هي ام ربة ... تسير الخلائق في نيرها ؟
وما سحرها ؟ التكوينها ؟ ... وما حسنها ؟ التصويرها ؟
تقول الطبيعة بنتي ؟ وما ... احس لها بعض تأثيرها

***

والى القارىء ايضا الرباعية الاولى من المقطوعة الثانية (المثال والمرأة) :

رأى جسم حواء فاشتاقه ... فهاجت به النزوة المسكره
سبى روحها فاشتهى جسمها ... فثارت بعزة مستكبره
سما جسمها وتأبى عليه ... فجرد في وجهها خنجره
وهم بها فالتوى قصده ... فارسل صيحته المنكره

***

وقد ذكرت هاتين الرباعيتين من هذه القصيدة نقلا عن ديوان ناجي ليتسنى لمن يملك (ارواح واشباح) الرجوع الى الصفحات التي ذكرتها منذ حين . والغريب ان مصدر هذه القصيدة او القصيدتين بالنسبة للسادة الجامعين المحققين هو (مجلة العمارة) الصادرة سنة ١٩٤١ في حياة الشاعرين طه وناجي . واني لاعجب كيف وقع هذا الخطأ

في حياتهما دون ان يستدركاه في العدد التالي من تلك المجلة ؟ ومن يدري فلعله وقع استدراكه ، دون ان ينتبه الى ذلك السادة المحققون ؟ والنسخة التي املكها من اقصوصة (ارواح واشباح) من الطبعة الثانية صادرة سنة ١٩٤٢ ، وهذه الاقصوصة الشعرية من اولها الى اخرها على بحر واحد هو بحر المتقارب ، وكلها من اولها الى اخرها ايضا رباعيات على ذلك النمط الذي رأيناه في قصيدة (المرآة) المثبتة في ديوان ناجي ص ١٧١ ، والذي لا ريب فيه ان قصيدة (المرآة) من شعر طه كتبت ضمن هذه القصة الشعرية ، ولست ادري متى ظهرت الطبعة الاولى لهذه القصة ، فالطبعة الثانية ظهرت بعد عدد مجلة العمارة بسنة واحدة ، وناجي اصدر سنة ١٩٥١ ديوان ليالي القاهرة بعد وفاة طه ولم يثبت فيه هذه القصيدة التي نسبت اليه خطا في مجلة العمارة ، وفي الديوان الشامل ايضا .

ولعل صالح جودت قد اصاب من حيث لا يشعر عندما قال عن الشاعر محمد الهمشري وعلي محمود طه وابراهيم ناجي وعن نفسه عندما كانوا يقضون اجمل ليالي العمر في حديث الادب والشعر : « كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر ، تتقارب خطوطها كل التقارب ، الى حد ان اختلط شعرنا على الناس في كثير من الاحيان فنسب الى غير صاحبه ، والى حد ان احدا منا نحن الاربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الاستاذ ، فقد كان كل منا يفيد من صحبة الاخرين » (١٢) .

ولكن اذا جاز ان يختلط شعر هؤلاء الاربعة على الناس فانه لا يجوز ان يختلط على الاصدقاء انفسهم ، وعلى المحققين بصفة خاصة ، على انه قد اختلط بهذا الشعر شعر شاعر اخر ... هو كمال نشأت ، الذي تحدثنا عنه منذ قليل .

لست ادري كيف غفل عن هذا الامر كل من شقيقه ، والشاعرين جودت ورامي والدكتور هيكل ، وكيف لم يطلع كل هؤلاء على اقصوصة (ارواح واشباح) الشعرية ، وهي لون جديد في الادب العربي ؟ واكثرهم يدعي بانه صديق حميم للشاعرين يطلعون بعضهم على شعرهم قبل نشره .

قالت مجلة (المكتبة) : ان مجلة (اخبار اليوم) نبهت اثر صدور الديوان الى انه يضم ١٧ قصيدة (؟) للشاعر كمال نشأت ، فلماذا لم تنتبه هذه الجريدة الى الان ، ولا غيرها من الجرائد والمجلات في مصر الى وجود قصيدتين في هذا الديوان للشاعر علي محمود طه ؟ ولماذا ظلت « هذه القضية الادبية تثير ضجة عالية وتستمر خمس سنوات » ثم يصدر فيها حكم ... ويضاف الى الصفحة الاولى من الديوان «اسف واعتذار» دون ان ينبه احد الى وجود قصيد اخر في هذا الديوان لشاعر اخر ؟

اغلب الظن ان جريدة « اخبار اليوم » لم تنتبه الى وجود قصائد كمال نشأت ضمن ديوان ناجي بنفسها ولكن الذي نبهها الى ذلك هو الشاعر نفسه ، لانه ما زال على قيد الحياة ، ولو لم يكن حيا لبقي امر انخراط قصائده في ديوان ناجي مجهولا كما وقع بالنسبة لقصيدة عدي محمود طه ، فقد نقد صالح جودت ورد جودت على النقاد ورد النقاد على صالح جودت ... وكتب الدكتور محمد مندور مقالا مشهورا في ٨ صفحات ضد اللجنة وقد اخذت به المحكمة وهي تصدر حكمها ... » ولكن رغم كل ذلك لم ينتبه احد الى وجود قصيدة علي محمود طه ضمن هذا الديوان لتكون « الفضيحة » واحدة ، و « التفريم » مرة واحدة لصالح الشاعرين و « الاسف والاعتذار » مرة واحدة ايضا ...

ولست ادري هل سيقوم ورثة المرحوم علي محمود طه بقضية اخرى ضد هذه اللجنة وهل ستغرمها المحكمة مرة اخرى وهل ستلصق اللجنة اعتذارا اخر على ورقة (الاسف والاعتذار) التي الصقتها على الصفحة الاولى من هذا الديوان ؟

تونس — **نور الدين صمّود**

(١٢) الديوان ص ١٦

العقم

كان النجم كمحتضر
والافق جناز والليل ضريح
والشط يباب ، الا من سفن تسأل عن ريح
وانا هذا الملاح المجنون
أضرب بالمجداف شمالا ويمين
أضرب لكن الماء ثقيل كالطين
أهتف في سمع البحر
« خذني يا بحر الى منأى
هبني قطعة أرض لم تعرف
فيرد البحر
« ارجع يا مسكين
كيف تأخرت الى اليوم
وأتيت مع القرن العشرين »
ماذا ؟ ماذا ؟
أأعض حسامي « كبرتس »
أشدو بسقوطك يا حب ؟
اني أسأل عن مدن لا تبنى
عن لفظ أمنحه معنى
عن وتر يسكب لي لحنا
عن وجه اعرفه
لكن أين ، متى قد القاه
والعمر خريفا وشتاء أحياه
فاحطب يا ريح
كل الاشجار
فالارض امرأة عاقر
راحت تشكو عقم الامطار

المفوضية اليمنية باديس ابابا — **عبده عثمان**